



تمفصل المعنى في العلامة الإشارية: نحو نموذج لساني بصري للغة الإشارة المغربية
LSMar
Sign and the articulation of meaning: toward a visual linguistic model of Moroccan Sign Language
LSMar

عبد الناصر شارعي Abdennasser Charai

طالب باحث بسلك الدكتوراه

كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق - جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

abdennasser.charai-etu@etu.univh2c.ma

ملخص:

يسعى البحث إلى سد الفراغ المعرفي والأكاديمي في دراسة لغة الإشارة المغربية LSMar وتجاوز المقاربات الاختزالية التي تحصرها في أبعاد تربوية أو اجتماعية محدودة. من أهداف البحث الأساسية تفكيك بنية العلامة الإشارية المغربية، وتوصيف تمفصل المعنى وانبثاقه داخل الفضاء الإشاري، مع اقتراح نموذج تفسيري يؤكد ضرورة الاعتراف بها لغة طبيعية متكاملة الأركان. ولتحقيق غايات البحث اعتمدنا على مقارنة وصفية تحليلية تدمج اللسانيات الإشارية والسميائيات، حيث استند ميدانيا، في الإطار الجغرافي لمدينة ورزازات، إلى أدوات نوعية متكاملة شملت الملاحظة بالمشاركة القائمة على خبرة ممتدة لأزيد من عقد من التدريس الفعلي للصم، وإجراء مقابلات شبه موجهة مع ناطقين فطريين، هذا بالإضافة إلى إخضاع متن بصري سردي لتحليل مقارن بين أداء شخص أصم وأستاذة سامعة.

خلص البحث إلى أن لغة الإشارة المغربية تمتلك نسقا لغويا متكاملا يتوزع على مستويات بنيوية متعددة. فعلى المستوى الكيرولوجي (الصواعة الإشارية) تتفكك الإشارة إلى وحدات تمييزية دنيا قادرة على إحداث الفروق الدلالية. مورفولوجيا، تعتمد اللغة على نظام كتلي متزامن يستثمر الفضاء الإشاري كليا في مقابل البنية الخطية للغات المنطوقة. أما نحوها الفضائي وتركيبها فيتأسس عبر تنظيم الزمن والضمان والأفعال التوجيهية في الفضاء البصري،





في الوقت الذي يتأثر مستواها الدلالي كما التداولي بقوة بالعناصر غير اليدوية كتعابير الوجه إضافة إلى تمليه شروط المقام التواصل. وكشف التحليل السردى المقارن عن تميز أداء الشخص الأصم في الاقتصاد البنيوي والتكثيف الإشاري مقارنة بأداء السامعة. ختاماً، تقترح الدراسة نموذجاً تفسيريّاً رباعي الأبعاد يربط (بنيوي، فضائي، سيميائي، إدراكي)، وتوصي بمعية اللغة وتوثيقها وإدماجها في التخطيط اللغوي الوطني.

الكلمات المفتاحية: لغة الإشارة المغربية- اللسانيات الإشارية- السيميائيات البصرية الإدراكية- النحو الفضائي- تمفصل المعنى

Abstract :

This paper aims to bridge the cognitive and academic gap in the study of Moroccan Sign Language (LSMar) and to move beyond reductionist approaches that confine it to limited educational or social dimensions. The primary objectives of this research are to analyze the structure of LSMar, to describe how articulation and meaning are produced within the signing space, and to propose an explanatory model that emphasizes the necessity of recognizing it as a fully integrated natural language. To achieve these aims, the study adopts a descriptive-analytical approach combining sign linguistics and semiotics. Fieldwork was conducted in the Ouarzazate region and drew on qualitative methods, including participant observation based on over a decade of practical experience teaching Deaf individuals, and semi-structured interviews with native signers. Additionally, a narrative visual corpus was subjected to a comparative analysis between the performance of a Deaf person and a hearing teacher.

The finding show that Moroccan Sign Language possesses a comprehensive linguistic system distributed across multiple structural levels. At the cherological level (sign phonology), the sign decomposes into minimal distinctive units capable of creating semantic differences. Morphologically, the language relies on a simultaneous and non-linear system that fully utilizes the signing space, in contrast to the linear structure of spoken languages. Its spatial grammar and syntax are established through the organization of time, pronouns, and directional verbs in visual space, while its semantic and pragmatic levels are strongly influenced by non-manual elements such as facial expressions, in addition to the dictates of communicative context. The comparative narrative analysis revealed the distinctiveness of the Deaf person's performance. The study concludes by proposing a four-dimensional explanatory model (structural, spatial, semiotic, cognitive) and recommends accelerating the standarization, documentation, and policy integration of LSMar.

Keywords: Moroccan Sign Language- sign linguistics- cognitive visual semiotics- spatial grammar- articulation of meaning





تقديم:

لا مرية في أن الدراسات اللسانية المعاصرة تشهد تحولا نوعيا في تصور اللغة، متجاوزة حدود المنطوق والمكتوب إلى البحث في الأنساق البصرية الحركية التي تجسد التواصل في أبعاده المتعددة باعتباره جوهر التفاعل الاجتماعي. في خضم ذلك برزت لغة الإشارة كركيزة أساسية للتواصل داخل مجتمع الصم، معلنة نفسها لغة طبيعية مكتملة البنية، تملك صواتتها، مورفولوجيتها وتركيبها الخاص، وقادرة على إنتاج معانيها والتعبير عن الفكر الإنساني من خلال قنوات بصرية، حركية، فضائية، بدل القناة السمعية-اللفظية الخطية الاعتيادية. مما أثبت أن القدرة اللغوية الإنسانية ليست رهينة القناة الصوتية، بل هي ملكة ادراكية تجريدية قادرة على التجلي بفاعلية كاملة عبر القناة البصرية-الحركية-الفضائية.

تندرج لغة الإشارة المغربية²⁸ LSMar ضمن هذا الأفق العلمي الحديث، إذ لا يمكن اعتبارها خارج فلك التنوع اللساني والثقافي في المغرب. إلا أن الأدبيات السابقة ركزت على الأبعاد التربوية أو الرعاية الاجتماعية أو البعد التقني، مع غياب شبه تام لمقاربات لسانية سيميائية تدرس بنيتها الداخلية ومنطقها الخاص، وكذا آلياتها في إنتاج المعاني وتشاركها. وانطلاقا من ذلك كله، تتحدد الإشكالية الرئيسية للبحث في السؤال الموالي: "كيف تتكون علامة الإشارة المغربية، وكيف يتم فصل المعنى داخل بنيتها في إطار لغوي بصري يتيح لنا توصيفه لسانيا وسيميائيا؟"

للخوض في الإجابة عن السؤال الإشكالي للبحث، تقترح الورقة نموذجا لسانيا بصريا-سيميائيا لتحليل لغة الإشارة المغربية، استنادا إلى التكامل بين إطارين نظريين، يتعلق الأول باللسانيات البصرية التي تعنى بتوصيف البنية اللغوية للغة الإشارية. بينما يرتبط الثاني بحقل السيميائيات الذي يعنى بدراسة آليات توليد المعنى داخل نسق العلامات أو نسيج السيميوز. الهدف من وراء هذا التناول المزدوج هو رصد بنية الإشارة المغربية عبر مستوياتها الشكلية والدلالية، وكذا استكشاف النظام الكتلي الذي يقوم مقام النظم النحوية الخطية الخاصة بالأنظمة اللغوية المنطوقة.

²⁸ سيتم استخدام الاختصار LSMar للإشارة إلى لغة الإشارة المغربية، وذلك لتفادي الخلط مع (LSM اللغة الإشارة المكسيكية)، المعترف بها كلغة وطنية وجزء من التراث اللغوي المكسيكي في 10 يونيو 2005.





يستند البحث على معطيات ميدانية أصلية جمعت من واقع التواصل اليومي للصم من خلال الملاحظة بالمشاركة كون الباحث مدرسا لتلاميذ صم، ثم من مقابلات شبه موجهة مع ناطقين فطريين بلغة الإشارة المغربية من أعمار مختلفة. كما تم الاعتماد على متن بصري سردي يشمل حكاية مصورة مروية بلغة الإشارة المغربية من طرف شخص أصم، أعيد سردها من قبل مدرسة سامعة للصم. مما أتاح تحليل مقارن لتوليد المعاني عبر اختلاف الخلفية السمعية.

تكمن أهمية البحث في مقارنته للغة الإشارة المغربية من منظور لساني، بصري، سيميائي، يجمع بين أدوات التحليل البنيوي والوظيفي الإدراكي، وفي اعتماده على معطيات ميدانية أصلية تتغنى تمثيل البنية الاشارية في واقعها التداولي التفاعلي، وذلك من خلال الربط بين مستويات ثلاثة، الوجود، الاشتغال والتداول.

كما يسعى البحث الى اثراء الدرس اللساني بالانفتاح على اللغات البصرية الحركية الفضائية لتجاوز هيمنة الأنظمة المنطوقة ومركزيتها، بحثا عن فهم أعمق للظاهرة اللغوية الإنسانية. وبذلك تسعى الورقة الى وضع أسس علمية لنموذج وصفي للغة الإشارة المغربية، يبرز آليات انبثاق المعنى في بعدها الإدراكي الفضائي، ويجعل لهذا النظام اللغوي موطئ قدم في مشاريع التنمية اللغوية والتخطيط اللغوي على الصعيد الوطني، ضمانا للاعتراف بها لغة طبيعية كاملة لا يمكن البتة تحييدها من المشهد اللساني والثقافي المغربي. بما يضمن حقوق الأشخاص الصم وضعاف السمع ومشاركتهم الكاملة، لبناء مجتمع أكثر شمولاً وانصافاً للجميع دون استثناء.

المحور الأول: الأسس النظرية والمعرفية للدراسة

1.1- اللسانيات والسيميائيات: من الصوت الى العلامة البصرية

شكل مفهوم العلامة اللغوية محورا مركزيا في الفكر اللساني منذ أن أرسى فيرديناند دو سوسير أسس اللسانيات الحديثة مطلع القرن الماضي. عرف اللغة بوصفها نظاما من العلامات تقوم كل واحدة منها على ثنائية الدال والمدلول بوصفهما وجهان للعملة ذاتها، المرتبطتين ارتباطا اعتباطيا بفرض الاصطلاح والمواضعة (De Saussure, 1916). غير أن سوسير نفسه أشار الى أن اللسانيات ليست إلا فرعا من علم أشمل يدرس حياة العلامات في المجتمع أسماه السيميولوجيا.





في الاتجاه عينه، طور شارلز ساندرز بيرس تصورا فلسفيا مغايرا "الذي لا يعتمد اللسان أداة وحيدة للاحتقاء بالرمزية عند الإنسان، بل حاول تفسير نمط اشتغال التجربة الإنسانية بكل اسنادها انطلاقا من الروابط الممكنة بين مكوناتها" (بنكراد ، 2019، صفحة 94) قائما على تصنيف العلامة في ارتباطها بمرجعها الى ثلاثة أنماط، الأيقونة المبنية على التشابه، والمؤشر المرتبط بعلاقة سببية أو مجاورة، ثم الرمز المرتبط ارتباطا اعتباطيا اصطلاحيا (Sebeok، 1996، الصفحات 44-52) هذا التصنيف الثلاثي، الذي يدخل في إطار ثلاثية بيرس الأشمل (ماثول-موضوع-مؤول)، يكتسب أهمية محورية في دراسة اللغات الإشارية، إذ تتشابه فيها الأنماط الثلاثة في الآن ذاته، فالعلامة الإشارية قد تكون أيقونية حين تحاكي المرجع، ومؤشورية حين تحيل الى موقع داخل الفضاء، ورمزية حين تتجاوز المحاكاة الى التواضع الثقافي.

من جهة أخرى، أسهم امبيرتو ايكو في تعميق المقاربة السيميائية للأنظمة البصرية، مبينا أن المعنى لا يتولد من الكلمة المنطوقة أو المكتوبة فحسب، بل من كل وسيط قادر على حمل الدلالة وتداولها داخل نسق ثقافي واجتماعي محدد (Eco، 1976). وبذلك منحت السيميائيات للدراسات اللغوية أفقا أرحب، يدرج ضمن مفهوم اللغة كل نسق من الأنساق الرمزية القادرة على إنتاج المعنى، باعتبار الثقافة شكلا من أشكال التواصل (Eco، 1974)، بصرف النظر عن الوسيط الصوتي أو البصري أو الحركي.

في ضوء هذه الرؤية التوسعية، بات ممكنا النظر الى اللغة الإشارية لا بوصفها بديلا منقوصا من اللغة المنطوقة، بل نظاما سيميائيا مستقلا ومكتمل البنية. فعلامة الإشارة تنجز داخل حيز إشاري بصري حركي، مشغلة وفق منطق سيميائي دقيق يوظف آليات الأيقونية والمؤشورية والرمزية في تكوين المعنى وتداوله. بما يجعل التكامل بين اللسانيات والسيميائيات ضرورة نظرية لا خيارا إجرائيا.

ومما يعزز هذا التكامل أن اللسانيات البصرية جاءت لتوحد هذين الحقلين من منظور واحد، يدرس اللغة، باعتبارها فعلا ادراكيا، جسديا وفضائيا تتشابه فيه العلامة البصرية والبنية اللغوية والمعنى الدلالي. فمن الصوت الى الصورة، ومن الخط الزمني التتابعي الى النظام الكتلي في الفضاء ثلاثي الأبعاد، تعيد لغة الإشارة رسم حدود اللغة ذاتها وتوسع من مفهومها، مجسدة بشكل نموذجي المبادئ اللسانية السيميائية التي أسس لها سوسير وبيرس وايكو.





1.2- من لسانيات اللفظ الى لسانيات الإشارة

شكلت سنة 1960 منعطفا حاسما في تاريخ الدراسات اللغوية، حيث نشر ويليام ستوكوي William Stokoe دراسته الرائدة حول لغة الإشارة الأمريكية مثبتا لأول مرة أن لغة الإشارة ليست مجرد ايماءات جسدية، تعبيرات حركية أو توصيفات بصرية (Klima و Bellugi، 1979، صفحة 9)، بل هي لغة طبيعية مكتملة الأركان، خاضعة لقواعد بنوية دقيقة قابلة للتحليل والوصف اللساني. وقد نحت ستوكوي مفهوم الكيرولوجيا²⁹ وحدد ثلاث وحدات تمييزية أساسية في بنية العلامة الإشارية: شكل اليد (dez أي الهيئة التي تتخذها اليد أو اليدين عند أداء الإشارة. الموقع (tab) وهي المكان في الفضاء أو منطقة التماس مع الجسم حيث تنجز الإشارة. ثم الحركة (sig) والتي تمثل طبيعة تحرك اليد وكيفيته (Valli و Lucas، 2000، صفحة 26). وإن كان ستوكوي قد أدرج ضمنا اتجاه راحة اليد ضمن بارامتر شكل اليد، فقد أضافه باحثون لاحقون بعدا رابعا مستقلا خاصة باتيسون (Battison، 1978)، وبعدها خامس البارامترات الذي يشمل مجمل العناصر غير اليدوية من تعابير الوجه والنظرات وحركات الكتفين والجذع، ليكتمل عقد البراميترات الإشارية، وهي الوحدات الدنيا التي تفرق بين الإشارات منتجة التمايز الدلالي داخل النظام الإشاري.

شكل هذا التحول الابستمولوجي فتحا حقيقيا أتاح المجال أمام البحث اللساني في لغات الإشارة، إذ أثبتت الدراسات المتراكمة أن هذه اللغات تملك كافة المستويات التحليلية التي تتميز بها اللغات المنطوقة.

1.2.1- مستوى الفونولوجيا الإشارية:

لم يكن بالأمر الهين بالنسبة للصوتة البصرية أن تجد لها موطئ قدم في الدرس اللساني، وذلك لهيمنة المنطوق ومركزيته على امتداد آلاف السنين. فطبيعة العلامة البصرية دفعت الباحثين الى محاولة إيجاد اطار نظري يستوعب "الصوتة البصرية" "visual phonology" ومن ذلك ما قدمته Linda Uyechi 1993، التي ميزت بين صوتة اللغة المنطوقة وصوتة لغة الإشارة معتبرة أن ما يعلل هذا التقسيم هو التناظر المحايث بين البصر والصوت

في اللغات المنطوقة. وهي مشتقة Phonology الكيرولوجيا" مصطلح نحتة ويليام ستوكوي، رائد اللسانيات الإشارية، كمقابل للصوتة " 29
 المقابل الوظيفي للفونيم في اللغات المنطوقة. chereme واعتبر "الشيريم". "cheir" الذي يعني "اليدين". "χερ"; من الأصل اليوناني



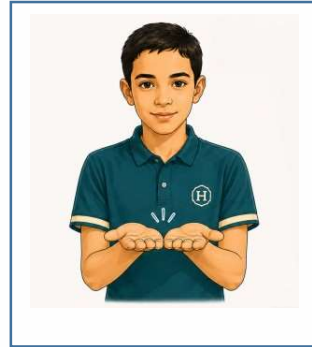
والمرئي والمسموع" لكن، وبالرغم من تمايز النظريتين، فما هما إلا فرعان من أصل الصوتية الكلية (Universal phonology، 2013، صفة 8)

لكن قبل ذلك بعقود، أبرزت أدبيات اللسانيات الإشارية بدءاً من أعمال ستوكوي المؤسسة، في النصف الثاني من القرن العشرين، أن العلامة الإشارية تفكك إلى شيريمات، واستكمالاً لذلك أثبتت ساندلر أن الأنظمة الإشارية تخضع لقيود توزيعية وتأليفية تماماً كتلك التي تحكم صواتة اللغات المنطوقة (Sandler، 1989).

إن تلك الوظيفة التمييزية في لغة الإشارة تتجسد واضحة عبر آلية الأزواج الدنيا الإشارية، حيث يؤدي تغيير بارامتر واحد من البارامترات الأساسية، مع ثبات باقي البارامترات، إلى تغيير دلالي تام للعلامة الإشارية. فعلى سبيل المثال، يؤدي تعديل بارامتر حركة اليد مع استقرار بقية البارامترات إلى تمييز جذري بين إشارتي [كتاب] (صورة 1) و [دعاء] (صورة 2).



صورة 2 [دعاء]



صورة 1 [كتاب]

إن هذا التفصيل الفونولوجي البصري يبرهن على خضوع لغة الإشارة المغربية، كغيرها من اللغات الإشارية، لنظام كيولوجي صارم يصنع الاختلاف الدلالي، وذلك بالارتكاز على ما يمكن أن يسمى "التمييز البارامتري"، وهو تماماً ما تسمح به الفونيمات في الأنظمة اللغوية الشفوية.

1.2.2- المستوى المورفولوجي/ الصرفي:

معلوم أن اللغات الشفوية تخضع لبنية تتابعية خطية عبر السوابق واللاحق. أما اللغات الإشارية فتتبنى على



خاصية صرفية مميزة تتبني عل التنظيم المتزامن داخل نظام كتلي في فضاء ثلاثي الأبعاد. وعليه فإن موفولوجيا هذا النظام اللغوي تتجلى عبر آليات التعديل الإشاري التي تدرج معان صرفية متعددة داخل بنية العلامة الإشارية الواحدة، بدل التتابع الخطي.

أما صيغ الاشتقاق والمبالغة والتكرار في الفعل الإشاري المغربي فتتحقق عبر تعديل بارامتر "الحركة"، سرعة اتجاه مقرونا بالعناصر غير اليدوية. كما يبنني مورفيم الجمع فضائيا إما بالتكرار الموضعي للإشارة أو بنقل الحركة من الاشتغال الأحادي الى الثنائي. مما يوضح كيف يتم استغلال أبعاد الفضاء في لغة الإشارة المغربية لتكثيف البنية الصرفية وتوليد المعاني المتزامنة.

1.2.3- المستوى المعجمي:

يتحدد المستوى المعجمي في لغة الإشارة المغربية باعتباره بنية ديناميكية تتجاوز اعتبار كل إشارة ترجمة للكلمة معزولة في اللغة المنطوقة. بفضل مرونة عالية تولد دلالات آنية داخل الحيز الإشاري. ويصنف المعجم الى مستويين أساسيين: معجم ثابت ومعجم مرن منتج. ينقسم القسم الأول إلى شقين: معجم أيقوني يتشكل من وحدات معجمية تتولد من المحاكاة البصرية، المباشرة وغير المباشرة للمراجع. ومعجم اعتباطي تحكم فيه الاعتباطية والمواضعة الثقافية العلاقة بين الدال والمدلول. أما الشق الثاني، فيعتبر منظومة بنيوية خاصة وعالية الأيقونية تشكل المعجم المرن في لغة الإشارة. هذا الشق يضم المصنفات (Emmorey classifiers, 2002، صفحة 21)، وهي أشكال يدوية مرنة تصف شكل المراجع وحجمها وخصائصها وحركتها داخل الفضاء الإشاري.

كما يضم البنيات عالية الأيقونية (Cuxac les transferts de grande iconicité, 2003)، وهي عبارة عن تجسيد بصري، خصوصا في السياقات السردية، يتحول من خلاله جسد المشير وتعبير وجهه إلى أداة سياقية لإنتاج دلالات آنية ومعقدة، لا يمكن أن تحتويها الوحدات المعجمية المستقلة. وقد قسم كوساك تلك البنيات أو النقلات عالية الأيقونية إلى: نقل الشخص (transfert de personne)، نقل الموقف (transfert de situation)، نقل الحجم والشكل (transfert de taille et de forme ثم النقل المزدوج (Cuxac le double transfert. 2003، الصفحات 15-19) مثبتا أنها أدوات لغوية خاصة باللغات الإشارية قابلة للتحليل اللساني البنيوي وليست مجرد تخطيطات ميمية.





تتكامل أبعاد النظام المعجمي المذكورة لتمنح لغة الإشارة طاقة استيعابية هائلة ومرونة تقدرها على توليد المعاني وتجسيد الواقع حركيا وبصريا ومكانيا، رابطة بين البنية اللسانية وخصوصيات النسق البصري.

1.2.4- مستوى النحو الفضائي والتركيب:

من المميزات الخاصة للتركيب في اللغات الإشارية انزياحه عن المركزية الخطية للأنظمة اللغوية المنطوقة، إذ لا تخضع الجملة الإشارية بالضرورة للرتبة: فعل -فاعل- مفعول وغيرها من البنى النمطية للأنساق الشفوية، بل تخضع لبنية لسانية بصرية تتأطر فضائيا وزمانيا لتأسيس المعنى التركيبي (Valli و Lucas، 2000، الصفحات 76-77). ويتحول الفضاء الإشاري في لغة الإشارة من مجرد فراغ هندسي، إلى شاشة عرض افتراضية لبنية نحوية تدار عبر آليات أبرزها: 1- التوطين الفضائي، إذ يعين المشير مواقع افتراضية كمؤشرات لمراجع الخطاب (Deixis)، يحال إليها بصريا دون توطين جديد.

2- الأفعال التوجيهية: تصريف الأفعال حركيا في الفضاء

الإشاري لتحديد العلاقات النحوية بين الفاعل والمفعول به، مما يلغي الحاجة لاستعمال أدوات الربط من حروف

الجر أو الضمائر المنفصلة أو غيرها. فاننتقال الإشارة من نقطة كاف لربط عناصر الجملة. 3

- المصنفات: اسقاط الخصائص الفيزيائية للشيء بضبط التشكيل اليدوي وتحريكه ككتلة دلالية

4- الخط الزمني النحوي: خط زمني أفقي افتراضي مرجعه جسد المشير فخلفه الماضي، وأمام صدره الحاضر، يمثل الحاضر وامتداده الخارجي المستقبل، يغني عن الصرف البنيوي للفعل الإشاري.

1.2.5- المستوى الدلالي التداولي:

يكتسي هذا المستوى صبغة خاصة، كونه يمثل أفقا للسميوز البصري، ومآلا لتمفصل المعنى وانبثاق الدلالة أو "التدلال" بتعبير سعيد بنكراد. إذ لا يمكن مقارنة لغة الإشارة المغربية دون اعتبار الجانب التداولي والتفاعلي الحي. فتمظهر اللغة صوتا أو كتابة ليس إلا تجل من تجلياتها، بمعنى أن اللغة نظام معرفي مستقل عن طبيعة القناة الحسية. وهذا ما فكك المركزية الشفوية. وأكدت الأبحاث العصبية الحديثة أن المعالجة اللغوية تمر عبر القنوات





البصرية الحركية بنفس الكفاءة الوظيفية للقناة الشفوية السمعية (Petitto، وآخرون، 2000)، مبرهنة أن الدماغ البشري مهياً بيولوجياً لاستيعاب النسقية اللغوية وتجريد الدلالات عبرها، بغض النظر عما إذا كانت على شكل متتاليات صوتية أو تراكيب حركية بصرية فضائية (Emmorey، 2002).

أما الجانب الدلالي/التداولي، فيتأسس من التعبئة المشتركة بين الذات المتواصلة. أي مقارنة اللغة في علاقتها بالمستعمل والمقام الذي يحول دون سوء الفهم في تبادل الرسائل، عبر تمثل الشروط المحيطة بتلك العملية (رايخ، 2019). في لغة الإشارة، تبرز أهم الميزات التداولية في الإحالة المكانية والتوطين الفضائي، والعناصر غير

اليديوية، من تعابير الوجه وحركات الرأس والكتفين واتجاه نظرة العين. كما يحتاج المشير أثناء الحوار وجهها لوجه إلى الفعل العائد Feed-back، بهدف منع اللبس والتأكد من وصول المقصود. وإلا احتاج إلى تكرار الإشارات أو دمج أخرى، مما يحول الفضاء البصري برمته إلى مسرح دلالي تتفاعل فيه البنية التركيبية مع القيمة التداولية والانفعالية للخطاب.

1.3- اللسانيات كإطار تفسيري

تتأسس اللسانيات البصرية كإطار تفسيري على فرضية إبستمولوجية تعتبر اللغة فعلاً رمزياً وإدراكياً متعدد الوسائط، يتجاوز المركزية الشفوية، معلناً عن نسق قادر على الانبثاق، بنفس الكفاءة التعبيرية للغات المنطوقة، ولكن عبر القناة البصرية، الحركية، الفضائية. هذه المقاربة تتغىي نقل الثقل المنهجي من الخطية الزمنية المميزة للغات المنطوقة، إلى التزامن الفضائي الخاص باللغات الإشارية. وذلك عبر جهاز مفاهيمي يجمع بين مبادئ اللسانيات من جهة، والسميائيات من جهة ثانية، نراه كفيلاً بتوفير الآليات التحليلية لانتقاط عملية تشكل المعاني وفق هذا النظام اللغوي الخاص.

1.3.1- المرتكزات النظرية والإبستمولوجية

يرتكز البحث على اعتبار الجسد بنية مورفو-دلالية فاعلة، حاملاً بمكوناته للعلامة الإشارية، واشتغال لغة الإشارة وفق نظام جشطلتي يعالج طبقات دلالية ونحوية مترامنة تخضع لقوانين الإدراك البصري (حنون، 2013)،





صفحة 8). إذ تغلب على العلامة الإشارية خاصية التزامن الفضائي مع الاحتفاظ بأبعاد تتابعية في بعض المستويات البنيوية (Bellugi و Klima، 1979، الصفحات 36-39). من جهة أخرى يستوعب هذا الإطار النظري التمييز السيميائي لثلاثية بيرس (أيقونة، مؤشر، رمز) لتفسير بناء العلامة الإشارية في ارتباطها بما تحيل عليه، مدمجا إياها مع ثنائية سوسير (الدال، المدلول) بغاية اثبات أن الأيقونية البصرية ليست مجرد محاكاة عفوية وجافة للواقع، بقدر ما هي المحرك السيميائي للتبادلات الإشارية، وبنية مندمجة، خاضعة لتقعيد محكم.

ليتأتى تبين هذا التمفصل البنيوي، يوفر الإطار النظري للبحث أدوات مناسبة لوصف وتحليل عملية تشكل العلامة الإشارية وذلك من خلال تفكيكها الى وحداتها الكيرولوجية الدنيا، اليدوية منها وغير اليدوية، بغاية تأسيس الأزواج الدنيا البصرية، وصولا الى بناء نحو فضائي ثلاثي الأبعاد حيث تتوزع في أرجائه المواقع المرجعية، بما يحكم ذلك من قواعد وإحالات عبر استعمال الأفعال التوجيهية (Sandler و Lillo-Martin، 2006).

إن اختيار هذا النموذج لمقاربة لغة الإشارة المغربية جاء لقدرته على التعليل الأيقوني المرتفع الذي يميز حقولها المعجمية في تنوعاتها المحلية، نحو الرمز والاصطلاح بناء على التواضع الثقافي، وذلك من خلال التحليل السيميائي للتفاعل بين الأيقونية، المؤشرية والرمزية بغية تفسير تولد الدلالة. هذا بالإضافة الى قدرته على رصد الفروق النسقية ميدانيا بين أداء الناطقين الصم الفطريين، المتسم بالتكثيف الكتلي والاقتصاد الحركي، وأداء المشيرين السامعين المتصف بالزيادة الايضاحية والتتابع الخطي.

من جهة أخرى، يوفر النموذج إمكانية تحليل السيميوز البصري ك"نشاط ترميزي يقود الى انتاج الدلالة وترميزها" (بنكراد، 2019، صفحة 69)، وذلك من خلال توظيف العناصر غير اليدوية كمحددات نحوية أساسية (الاستفهام، الأمر، الشرط...). وهذا كله بهدف صياغة مخرجات لسانية قابلة للنقل الديداكتيكي في بناء المناهج التعليمية والتخطيط اللغوي لتطوير معايير الترجمة الإشارية في التعليم والإعلام وكافة المرافق في إطار الإدماج الشامل للصم وضعاف السمع.





المحور الثاني: المنهجية ومعطيات الميدان

2.1- منهج الدراسة وإطارها الاستيمولوجي

تعتمد الدراسة مقارنة وصفية تحليلية نوعية لدراسة لغة الإشارة المغربية في استعمالها الفعلي، برصد انبثاق الدلالة عبر تفاعل العلامة مع الفضاء والمقام، وباستثمار أدوات اللسانيات الإشارية والسميائيات.

يستند المنهج المنقّى على تقاطع ثلاثة مستويات تحليلية، يهم الأول الوصف البنيوي للعلامة الإشارية، بينما يتمثل الثاني في التحليل الوظيفي الدلالي عبر رصد انتاج المعاني. ثم التحليل السيميائي بوصفها علامة تتفاعل فيها الأيقونية والمؤشرية والرمزية، أخذا بعين الاعتبار سياقها الثقافي والتواصلية. فالإشارة ليست مجرد مفردة معجمية معزولة، بل بنية لسانية سيميائية لا يتحقق معناها إلا بانخراط الجسد والفضاء والسياق.

وإذا كان المنهج الوصفي التحليلي هو الإطار العام للبحث، فإن أجرأته تتأسس على الملاحظة الميدانية والتحليل المقارن ثم القراءة السيميائية، بغية الوصول الى نموذج علمي يفسر علامة الإشارة وتمفصل المعنى في لغة الإشارة المغربية.

2.2- أدوات جمع المعطيات الميدانية

إن الاشتغال على لغة الإشارة المغربية في تجليها المباشر، يقتضي اعتماد أدوات كفيلة بالنقاط الظاهرة في بعدها البصري-الحركي-الفضائي، ورصد تفاصيلها الدقيقة تمهيدا لتحليلها لسانيا وسميائيا. وتمثلت أدوات جمع المعطيات في:

-الملاحظة بالمشاركة: انطلق البحث من الانغماس الميداني للباحث، كونه راكم تجربة ميدانية تزيد عن عقد في تدريس الأطفال الصم، مما أتاح ولوجا يسيرا للميدان ومعايشة يومية للاستعمال الفعلي للغة. كما مكن من الاحتكاك المباشر بالممارسات التواصلية وبناء علاقة ثقة مع المبحوثين الصم من مختلف الأعمار.

-المقابلات شبه الموجهة: تم اعتماد هذه الأداة لقدرتها على الجمع بين التوجيه المنهجي ومرونة التفاعل، وأجريت مع مبحوثين صم من أعمار ومستويات مختلفة، لرصد تشكل المعاني أثناء التبادلات الإشارية والوقوف على تمثيلات المتحدثين للغتهم الأم.





-المتن البصري السردى المقارن: اعتمد على حكاية مروية بلغة الإشارة من طرف شخص أصم (ناطق فطري)، ثم إعادة سردها من طرف مدرسة سامعة للصم. وكانت الخلفية المنهجية لهذه العملية هي توفير متن يتيح تتبع تمفصل المعنى عبر السرد الإشاري، والمقارنة بين الكفاية الإشارية الأصلية الفطرية، والكفاية التعليمية المكتسبة.

2.3-مجتمع البحث وعينة الدراسة:

يتشكل مجتمع البحث من ناطقين أصليين بلغة الإشارة المغربية داخل النطاق الجغرافي لمدينة ورزازات بالجنوب الشرقي للمغرب، المحتضنة لجمعية الشروق للصم وضعاف السمع منذ تأسيسها سنة 1997. توفر المؤسسة خدمات الإيواء والتعليم بالسلك الابتدائي إضافة لأنشطة للتأهيل المهني والحرفي، وأغلب الشباب الصم بالمدينة هم من خريجها. ولا يقتصر مجتمع البحث على الأشخاص الصم فقط، بل يشمل بعض الفاعلين السامعين ذوي كفاءة عملية في لغة الإشارة، بما يخدم غرض المقارنة.

من جهة أخرى، لا تقوم عينة لبحث على معيار الكم بقدر ما توفر معطيات نوعية تخدم العمق التحليلي، ولا تدعي تمثيل جميع الناطقين بلغة الإشارة عبر الوطن، بقدر ما توفر مادة أولية لنموذج تفسيري يؤسس لأبحاث موسعة مستقبلا.

المحور الثالث: التحليل والمناقشة

3.1-تحليل بنية علامة الإشارة المغربية

يقتضي فهم تمفصل المعنى في لغة الإشارة المغربية تحليل بنية علامة الإشارة فيها. فالوحدة الإشارية ليست تعبيراً جسدياً معزولاً، ولا هي حركة عابرة، بل هي بنية لغوية تتحدد قسماتها من خلال انتظام عناصرها البصرية والحركية والفضائية داخل نسق قابل للوصف. وانطلاقاً من معطيات البحث، فعلمة الإشارة المغربية تبنى، كغيرها من اللغات الإشارية الموثقة في أدبيات البحث اللساني الإشاري، على تفاعل ما يكونها من عناصر. فلانبثاق الدلالة وتحديد الوظيفة داخل الخطاب، لابد من تضافر المكونات الأساسية، شكل اليد، الموقع، الحركة والاتجاه، بالإضافة الى العناصر غير اليدوية من نظرات وتعبيرات الوجه وحركات الجذع والكتفين وغيرها. وقد اظهر الإشارات، التي وفرها متن الدراسة، أن شكل اليد الواحدة منفصلة أو اليدين معا، يدخل في صلب القيمة اللغوية للإشارة. ذلك ان





اختلاف التشكل اليدوي يؤدي بصفة مباشرة الى اختلاف المعنى، حيث في حال ثبات باقي البارامترات، فالشكل يؤدي وظيفة تمييزية تماما كالوحدات الدنيا في اللغات المنطوقة.

الموقع بدوره، يتجاوز كونه مكانا تؤدي فيه الإشارة إلى كونه عنصرا دالا في حد ذاته. فاختيار موقع ما داخل الفضاء الإشاري لإنجاز الإشارة، أو نقطة التماس اليد أو اليدين مع الجسم لا يكون اعتباطيا. إنه اختيار واع يرتبط ارتباطا وثيقا بالمرجع أو بطبيعة الفعل، أو حتى العلاقة التي تقام بين الذوات في الحكي الإشاري. وقد وفر رصيد الإشارات في متن الدراسة جملة من الإشارات التي تكتسب جزء من معناها من الموضع الذي تؤدي فيه، حيث أن تغيير هذا الموضع يؤدي بصفة مباشرة الى تعديل في الدلالة أو الوظيفة الإحالية. إنه بهذا المعنى يتجاوز كونه مكونا فيزيائيا الى اعتباره موردا دلاليا مندمجا في بنية العلامة الإشارية.

أما الحركة، باعتبارها واحدا من البارامترات الأساسية المشكلة للإشارة، فلا تعد مجرد انتقال ميكانيكي لليد، بل إنها تسهم بشكل مباشر عبر كفاءتها وإيقاعها واتجاهها وامتدادها، داخل حيز التأشير، في بناء المعنى وانبثاق الدلالات. فالحركة في متن معطيات الدراسة كشفت عن تنوع دلالي واضح. فنجد حركات قصيرة ومقتضبة وأخرى ممتدة ومتكررة، ولكل منها قيمة خاصة في تمثيل الفعل أو الوصف أو الشدة أو الاستمرار. كما أن تكرار الحركة أو تسريعها أو إبطائها قد يضطلع بوظيفة صرفية أو دلالية. وبناء على ذلك، فالحركة في لغة الإشارة المغربية مكون لنيوي ودلالي في الآن ذاته، وليست مجرد وسيط ناقل.

ومن العناصر الأساسية في بناء العلاقات خلال التبادلات الإشارية نجد بارامتر الاتجاه. إذ تتحرك الإشارة غالبا من نقطة الى أخرى، معلنة عن علاقة بين مرجعين أو فاعلين أو حدثين في إطار النحو الفضائي. ظهر ذلك في الحكاية المروية بلغة الإشارة حيث تم استخدام الاتجاه في ضبط العلاقات الإسانية والإحالية داخل الفضاء الإشاري.

أما العناصر غير اليدوية فلا تعد عنصرا تكميليا أو تأثيثا جماليا عابرا، بل بنية مورفو-تركيبية وتداولية نازمة. تفصل بنيويا بين الأساليب الدلالية (النفي، الشرط، الاستفهام...). وتضطلع بوظيفة سردية في تكثيف التمثيل الدلالي وإظهار تغير الإنفعالات والمواقف الذاتية والبيذواتية للشخصيات.





هكذا إذا، يظهر التفاعل الديناميكي للبارامترات، اليدوية كما غير اليدوية، المشكلة للعلامة الإشارية المغربية تآزرا جشطلتيا متزامنا، ويجعلها وحدة لغوية قابلة للوصف اللساني والسميائي معا. مما يستلزم مقارنة تحليلية تتجاوز عزل الوحدات الدنيا نحو كشف هندسة تكاملها داخل الفعل الإشاري.

3.2-تمفصل المعنى في الفضاء البصري

بعد تحليل بنية علامة الإشارة المغربية، وبيان تآزر وتزامن عناصرها اليدوية كما غير اليدوية، نحاول في هذا الجزء بيان تمفصل المعنى عبر هذا النسق اللغوي الخاص. إن المعاني لا تبنى في اللغة الإشارية عبر التتابع الخطي للأصوات والكلمات كما في اللغات الشفوية، منطوقة ومكتوبة. إنها بناءات تتولد من خلال تنظيم حركي-بصري-فضائي، تتداخل فيه تشكيلات اليدين والحركة والموقع والاتجاه وكذلك العناصر غير اليدوية، داخل مشهد دلالي كلي وموحد. وبناء عليه، فالفضاء الإشاري لا يقتصر دوره كحامل خارجي للعلامة الإشارية، بل هو مكون بنيوي ودلالي ينهض بالكتلة التعبيرية للرسالة الإشارية.

وقد كشفت معطيات الدراسة أن حيز التأشير كفضاء مرجعي وطوبوغرافي، تستخدم احداثياته لتثبيت المراجع، من ذوات وأشياء ووقائع، وذلك عبر التأشير والتوجيه. بذلك يتحول الفضاء الى ما يمكن وصفه بالمعادل البصري للبنية النحوية في اللغات المنطوقة، وتتحول أبعاده إلى أدوات ناسجة للعلاقات التركيبية والدلالية في ذات الآن.

وانطلاقا من كل ذلك، تبرز آليتان أساسيتان لتمفصل المعنى في لغة الإشارة المغربية. تتمثل الأولى في التوطين والموضع الإحالي، فحين يعين المشير نقطة في الفضاء فهو بذلك يؤسس "موضعا إحاليا" ثابتا يشغل كذاكرة مرئية يتم استدعاؤها أثناء مجريات الخطاب عبر الإشارة إليها أو اسقاط الفعل نحوها وهذا يتيح متابعة الشبكة المرجعية دونما حاجة الى إعادة تسمية أو توطين في كل مرة. مثلا، في مقابلة مع أحد الأشخاص الصم حول حواجز التواصل داخل المجتمع، قام بتحديد مكان على يمينه خاص بالصم (صورة 3)، وآخر عن شماله خصصه للأشخاص السامعين (صورة 4)، وذلك بإشارات مكانية. أثناء الحوار يعود للإشارة الى الطرفين دون إعادة بناء العناصر المؤتثة للفضاء الإشاري من خلال "مجموعة من الإشارات المتتابعة بطريقة متقونة تشبه الى حد بعيد



تلاعب المتكلم بالضمائر في اللغات المنطوقة" (المقبلي و اليفرني، 2019، صفحة 287)



صورة 4

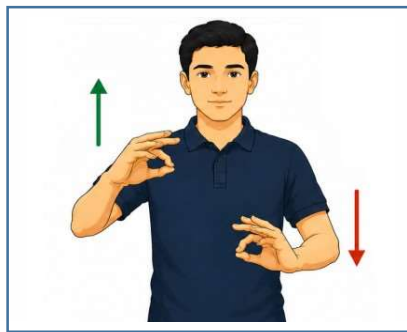


صورة 3

أما الآلية الثانية، فتتجلى في الحركة الاتجاهية التي تضطلع بدور محوري في تحديد مسار الفعل وعلاقاته. فتتحرك الإشارة من مكان الى آخر لا تعد حركة يدوية فحسب، بل تبني علاقة بين طرفين أو أكثر داخل البنية الخطابية، مرسل ومتلق، فاعل ومفعول، ذات وموضوع أو سبب ونتيجة. أي أن الاتجاه بهذا المعنى يتحول الى دالة علائقية. ويسهم في تحويل الفضاء الى بنية نحوية ثلاثية الأبعاد، وذلك عبر ترسيم العلاقات داخل الفضاء لا عبر تسلسل الألفاظ. يتجلى هذا الأمر بوضوح في مكون السرد الإشاري، حيث يبني الحدث كمشهد بصري يتحرك ويتحول الفضاء الإشاري الى شاشة عرض توزع فيها عناصر السرد وفق خريطة دلالية متكاملة. ومن هنا يمكن القول إن السرد الإشاري لا ينقل الأحداث فحسب، بل يعيد تجسيدها بصريا داخل الفضاء. وهذه خاصية لغة الإشارة التي تمنحها مادتها السيميائية خاصية القول والإظهار في ذات الآن.

ومن جهة أخرى، لا يمكن أن ينفصل الإيقاع الحركي عن تمفصل المعنى، فسرعة الحركة وتكرارها وامتدادها، كلها تدلو بدلوها في تعديل الدلالة وإبراز الفروق بين المعاني. فإيقاع الحركة يعيد تشكيل معنى الإشارة وفق الكيفية التي تنجز بها. يظهر ذلك جليا في السرد الإشاري حيث يستثمر الإيقاع في توجيه الانتباه وإبراز حدث معين أو التحكم في الشحنة الانفعالية للمشهد.

بالإضافة الى ذلك، تلعب تعبيرات الوجه والنظرة ووضعية الجسد دورا بالغا في تمفصل المعنى. ذلك أنها تساهم في توجيه القراءة التأويلية للإشارة بتحديد قيمتها التداولية والانفعالية. فعلامة الإشارة في لغة الإشارة لا تختزل في كونها وحدة معجمية معزولة، لكن اقترانها بمكون غير يدوي قد يحولها الى سؤال أو نفي أو تعجب أو تأكيد. كما أن النظرة تشارك في تثبيت الإحالة وتوطيد العلاقة بين العنصر الإشاري ومرجعه (Garcia و Sallandre، 2020). فالعلامة الإشارية بناء دلالي لا يفهم من التشكيل اليدوي فحسب، بل من التركيب الجسدي في شموليته. ويكشف متن البحث أن تمفصل المعنى لا يقوم على الشفافية الأيقونية فحسب، بل من تفاعل أكثر تعقيدا بين الأيقونية والمؤشيرية والرمزية. فكثير من العلامات الإشارية تستند على المحاكاة البصرية لمرجعها، مما ييسر إدراك معناها من خلال التشابه، غير أن هذا التشابه لا يكفي وحده لتفسير الدلالة. فالإشارة نفسها قد تستعمل في سياقات مختلفة، وتكتسب معان متنوعة تتداخل فيها المحاكاة والاحالة والاصطلاح. بمعنى أن الأصل في العلامات اللغوية هو الأيقونية، ثم تؤدي عملية الاصطلاح والاستعمال عبر الزمن الى زيادة الاعتباطية (Haiman، 2020). فإشارة [ميزان]، مثلا، (الصورة 5)، في لغة الإشارة المغربية، تنتقل وفق سيرورة سيميوزية من أيقونية تحاكي آلة الميزان، ثم تتحول في سياق فضائي الى اتخاذ بعد مؤشري كالإحالة الى المحكمة كمكان داخل فضاء التأشير. لتستقر على البعد الرمزي للدلالة على مفاهيم مجردة من قبيل عدالة، إنصاف أو مساواة. فهي بذلك لا تستدعي صورة آلة الميزان وإنما قيمة مجردة مرتبطة به.



الصورة 5 [ميزان]



إن هذا التحول هو تراكم سيميوزي في العلامة، وليس مجرد انتقال من صنف إلى آخر مع إلغاء السابق. فعلاقة الإشارة يمكن أن تحتفظ بأيقونيتها من حيث محاكاة المرجع، لكنها تفعل مؤشريتها ورمزيتها بحسب السياق التداولي دون الوقوع في فخ التصنيف (Capirci، Bonsignori، و Di Renzo، 2022). إن رمزية الإشارة ليست خاصية أصلية فيها، بل هي نتاج سيروزة تأويلية تنتقل من الإدراك البصري إلى التجريد المفهومي، ليظهر بذلك السياق التداولي كمحدد حاسم في تفصل المعنى.

3.3- مقارنة بين أداء الأصم والسامع بلغة الإشارة

أتاحت الحكاية المروية بلغة الإشارة من طرف شخص أصم ثم أعيد أدائها من طرف مدرسة سامعة، مادة سردية وممتنا تحليليا مهما للوقوف على بعض الفروق في استراتيجيات بناء المعنى عبر الخطاب الإشاري³⁰. وجبت الإشارة الى أن هذه المقارنة لا تستهدف إصدار حكم تقاضي بين الأداءين أو إخضاعهما لترتيب وفق سلم تقييمي، بقدر ما هي أداة تروم تستهدف الكشف عن أثر الخلفية السمعية ومسار اكتساب اللغة في تشكيل البنية الإشارية وتوزيع المواد التعبيرية، ومن ثمة رصد تفصل المعنى داخل الفضاء الإشاري.

ويظهر تحليل هذه المادة البحثية أن أداء الشخص الأصم، الذي دام 5.22 دقيقة، يتسم بدرجة أوضح من الاقتصاد البنيوي، أي أن الإشارة تتجز على نحو يحمل الفضاء جزءا كبيرا من وظيفة المعنى، دونما حاجة الى الاكثار من التوضيح الحركي أو التكرار التفسيري. كما يظهر السارد الأصم كفاية ضمنية عالية في توظيف المواضع المرجعية وتثبيت الشخوص والوقائع داخل حيز التأشير، وبعد ذلك العودة إليها بوسائل مختصرة لكنها مكثفة وفعالة دلالية. ومن هنا يظهر أن الفضاء لا يوظف أداة مساعدة خارج النسق اللغوي، بل هو ركيزة بنيوية أساسية في صميم الخطاب الإشاري نفسه.

³⁰ تمثل متن الحكاية المروية في قصة مصورة للأطفال عنوانها: «Le voleur de poule» وهي قصة مرسومة بالكامل ولا تحمل أي نص. كما تجدر الإشارة إلى أنه لم يسبق عملية الحكاية أي توجيه بيداغوجي أو تعليمات خاصة، سواء للسارد الأصم أو الأستاذة السامعة.





أما أداء الأستاذة السامعة، الذي استغرق 3.52 دقيقة، فيكشف ميلا أكبر الى التوسيع التفسيري. يبدو ذلك في زيادة الحركة أو إعادة الإشارات، إما للتأكد من فهمها، أو من أجل تثبيت المعنى أو إبراز العناصر التعبيرية على نحو أفضل، وذلك عبر التغذية الراجعة. يمكن تفسير هذا النمط من الحكي، منهجيا، بكون لغة الإشارة هنا مكتسبة في سياق تعليمي أو مهني، وغير نابعة من تجربة أصلية من داخل مجتمع الصم. من هنا يتبين أن الأداء السامع قد يميل إلى ما يمكن أن يسمى "الشرح داخل الإشارة"، أي جعل البنية أكثر وضوحا وإظهارا، حتى ولو وفر الاقتصاد الفضائي فرص انتاج المعاني.

ويظهر الفارق بين الأداءين كذلك في استثمار الفضاء المرجعي. فالسارد الأصم يرسو على توزيع مستقر للعناصر الموطنة يستعيد بها إشارات اتجاهية خفيفة ودقيقة، بينما تحتاج الأستاذة السامعة الى إعادة تثبيت المراجع أو إيضاح مسار الحكي. مما يعكس تباينا في التمثل المعرفي للفضاء الإشاري لا قصورا في الأداء.

أما بخصوص الإيقاع الحركي، فتمتاز رواية الأصم بتناغم بين الحركة والمعنى، حيث يتحكم في السرعة والتكرار والتوقف بناء على منطق الحدث السردى. في حين يظهر أداء المدرسة السامعة بعدا تعليميا توجيهيا، يوقف الأداء لتأكيد بعض العناصر، مما يثبت أن الإيقاع جزء من الكفاءة اللغوية لا مجرد بعد جمالي.

وعلى مستوى توظيف العناصر غير اليدوية، من نظرة وتعبيرات وجه وهيئة الجسد، وظفها السارد الأصم كامتداد طبيعي للبنية الإشارية، بينما بقيت عند المدرسة السامعة دعما خارجيا مرافقا للمعنى لا جزءا مكونا له، مما يؤكد أن الكفاءة الإشارية تقاس بمدى التماهي بين العناصر اليدوية وغير اليدوية.

من منظور سيميائي ذرائعي، تكشف المقارنة بين الأداءين أن السارد الأصم يكتف توظيفه للمؤشرية الفضائية في ضبط واضح لمواضع الإحالة، ويستثمر النقلات عالية الأيقونية المختلفة، تأكيدا لقدرة اللغة الإشارية على الإخبار والإظهار في ذات الآن (Haiman, 2020). أما أداء المدرسة السامعة فيظهر بعدا أيقونيا توضيحيا زائدا تصبح الحركة ذاتها أكثر وصفية. فالأول يعتمد على الاقتصاد النسقي داخل اللغة، بينما الثانية تراهن على الإبانة البصرية المقصودة. وهو فرق يكشف تداخل المعرفة اللغوية بالخبرة الإدراكية الاجتماعية في الخطاب الإشاري.





ختاما يفضي هذا التحليل المقارن إلى أن الخلفية السمعية ومسار اكتساب اللغة يؤثران في بناء الخطاب الإشاري من حيث توظيف الفضاء والايقاع والاحالة وانسجام العناصر اليدوية وغير اليدوية. مما يؤكد أن لغة الإشارة المغربية تقوم على كفاية فضائية ادراكية معقدة، تتجسد لدى من يعيش اللغة من داخل مجتمعها التداولي، بما يخدم التحليل اللساني والسيمياي وكذا تعليم اللغة وترجمتها.

3.4- من العلامة إلى إطار التفسير

يهدف هذا المقطع الى الانتقال من الوصف الجزئي لبنية العلامة الإشارية الى اقتراح إطار تفسيري يستوعب انتظام مكوناتها اليدوية وغير اليدوية متزامنة، ويفسر تحول الإشارة الى معنى داخل الفضاء عبر تفاعل المكونات اللسانية والسيميايية والإدراكية.

يتمظهر الإطار التفسيري من خلال أربعة أبعاد متكاملة. يهم البعد الأول المستوى البنيوي، الذي يمثل قاعدة النموذج، وفيه تحلل العلامة الإشارية من حيث بارامترات التمييزية باعتبارها المادة الأولية لباقي مستويات التفسير. أما البعد الثاني، فيتمثل في البعد الفضائي-النحوي، الذي يبحث في توزع العلامات داخل الحيز الإشاري، وتحول المواضع والاتجاهات الى أدوات لبناء العلاقات الاسنادية والمرجعية، بحيث يضطلع الفضاء بوظيفة نحوية يغدو معها المعادل البصري للبنية الخطية في اللغات المنطوقة. ويتجلى البعد الثالث في الجانب السيمياي الدلالي، وبه تفسر كيفية انتاج العلامة لمعناها عبر تفاعل الأيقونية والمؤشيرية والرمزية، لا كأبعاد متنافرة، بل كمستويات متداخلة تتصافر بدرجات متفاوتة، فلا يختزل المعنى في الشفافية الأيقونية ولا في الاعتبارية الرمزية وحدها. رابع الأبعاد يتجسد في المستوى الإدراكي التداولي الذي يخوض في الصلة بين بناء المعنى وآليات الإدراك البصري والتفاعل السياقي، إذ تستوجب العلامة الإشارية من المشير تنظيم الانتباه وتوجيه المتلقي عبر النظرة والإيقاع وتعبيرات الوجه، وهو ما يفسر الأهمية القصوى للعناصر غير اليدوية في بناء الرسالة الإشارية وتحديد قيمتها التداولية.

وبناء على ذلك، فالإطار التفسيري المقترح رباعي الأبعاد يجمع بين البنية والفضاء والدلالة السيميايية والإدراك التداولي في تفسير موحد لانبثاق المعنى. وتتجلى أهميته في كونه يتيح الانتقال من رصد الخصائص الجزئية إلى تصور أشمل لعمل اللغة الإشارية المغربية، بوصفها نسق لغوي بصريا متكامل له مادته وبنيته ونحوه وسمياييته،





وهو ما يفتح آفاقا لأعمال لاحقة في الوصف المعجمي والتحليل السردى وتكوين المترجمين

المحور الرابع: نتائج البحث والتوصيات

4.1-النتائج الرئيسية

أسفر التحليل اللساني- السيميائي للمعطيات الميدانية للبحث عن جملة نتائج. تنصدها كون لغة الإشارة المغربية نسقا لغويا منظما، لا حزمة ايماءات عفوية أو علامات عشوائية. إذ تتشكل من وحدات تمييزية بوظائف تمييزية دلالية واضحة. اما النتيجة الثانية فمرتبطة بالفضاء الإشاري الذي ينهض بوظائف نحوية محورية، إذ يوظفه المشيرون كمورد بنيوي أساسي في تنظيم الإحالة وإرساء العلاقات بين الذوات والأفعال والوقائع، مما يرسخ مفهوم النحو الفضائي كأحد المحددات الجوهرية للغات الإشارية.

أما النتيجة الثالثة فتكشف تمفصل المعنى عبر تفاعل متزامن بين عناصر متعددة، لا عبر سلسلة خطية من الوحدات المعجمية. فالحركة والاتجاه والنظرة والإيقاع وتعبيرات الوجه وحركات الوجه تتضافر جميعا لأجل بناء الدلالات وتوجيه التأويل مما يسمح بانبثاق المعنى داخل مشهد دلالي موحد لا خطي، وإن كان الإدراك البصري الجشطلتي وحده غير كاف لتفسير تنظيمها اللساني الداخلي القائم على التزامن لا التعاقب.

وتبين النتيجة الرابعة الطبيعة السيميائية المركبة للعلامة الإشارية التي تتأرجح ديناميكيا بين الأيقونية التي تحاكي مرجعها، والمؤشيرية الفضائية الخاصة بالإحالة الموضعية والسياقية، والرمزية الاصطلاحية المحكومة بالتواضع

الثقافي، مما يؤكد الحاجة إلى الجمع بين التحليلين اللساني والسيميائي.

وتتمثل النتيجة الخامسة في تأثير الخلفية السمعية ومسار اكتساب اللغة بصفة مباشرة في طرائق الأداء الإشاري. إذ أظهرت المقارنة بين أداء الأصم والسماع امتياز الناطق الفطري باقتصاد بنيوي ومؤشيرية مكثفة نابغة من تمثّل معرفي أصيل للحيز الإشاري، بينما اتجه أداء المدرسة السامعة الى التوسيع التفسيري، وهو ما يثبت أن الكفاية الإشارية تتجاوز معرفة المعجم لتشمل التمثّل الإدراكي والخبرة التواصلية.





تقود هذه النتائج إلى أن لغة الإشارة المغربية قابلة للتوصيف اللساني البصري -السميائي، وأن الإطار التفسيري المقترح يخدم، إضافة إلى التحليل النظري، تطوير تعليم وتعلم لغة الإشارة وتوثيقها وتكوين المترجمين والتخطيط اللغوي لها.

4.2-التوصيات

استنادا الى نتائج البحث، نقترح التوصيات التالية لتعزيز البحث العلمي في لغة الإشارة المغربية وحضورها في الدرس اللساني والسياسات اللغوية والتربوية. أولا، تشجيع البحث اللساني الميداني الموسع، أخذا بعين الاعتبار التنوعات الجهوية والمتغيرات السوسiolسانية، ذلك أن البحث الأكاديمي كفيل بتطوير أدوات بيداغوجية وتعليمية مستندة على أسس لسانية وسميائية متينة عوض الاقتصار على تلقين قوائم معجمية منعزلة عن سياقها. ثانيا، الإسراع في توثيق ومعبرة لغة الإشارة المغربية عبر لجان بحث أكاديمي تشرك الصم والسماعين بدعم مؤسساتي يعزز الاعتراف بها مكونا أصيلا من التنوع اللغوي الوطني، ويكفل حضورها في المدرسة والاعلام والترجمة ومختلف الخدمات العمومية، مما يرسخ حق الأشخاص الصم وضعاف السمع في الولوج إلى التواصل والمعرفة بلغتهم الطبيعية. ثالثا إدماج لغة الإشارة المغربية في مسالك التكوين الجامعي والمهني، بتكوين نظري ومنهجي يراعي خصوصياتها الحركية-البصرية-الفضائية، لا مجرد التعامل معها كأداة تعويضية. رابعا، تعزيز التكامل اللساني-السميائي في مقاربتها، لما تفرضه طبيعتها البصرية الحركية الفضائية من دحض مسلمات مركزية الصوت في تعريف اللغة وفتح آفاق رحبة لفهمها كقدرة متعددة التجليات، تبنى فيها الدلالة عبر الجسد والفضاء بقدر ما تبنى عبر الصوت والكتابة.





خاتمة

في ختام هذا السفر البحثي في عوالم العلامة الإشارية، وجب التأكيد على أن لغة الإشارة المغربية تقدم نفسها نسقا لغويا حركيا بصريا فضائيا، لا يمكن اختزاله في وسيلة تواصلية تعويضية، بل هي لغة طبيعية ونسق منظم متراس من العلامات وفق مبادئ بنيوية ودلالية وتداولية خاصة، تتفاعل فيها العناصر اليدوية كما غير اليدوية مع الفضاء لإنتاج الدلالة وفق مقتضيات السياق.

إن تمفصل المعنى فيها يستجيب لطبيعتها الحركية البصرية الفضائية في مقابل خطية اللغات المنطوقة، إذ يضطلع الفضاء بوظيفة نحوية وإحالية محورية، وتغدو الحركة والاتجاه والعناصر غير اليدوية عناصر فاعلة في انبثاق الدلالة، مما يستلزم تجاوز النماذج اللسانية التقليدية نحو نموذج أكثر ملاءمة لهذه الطبيعة.

لقد أتاحت الدراسة مقارنة التكامل بين اللسانيات البصرية الإشارية والسميائيات، مما مكن من توصيف البنية الداخلية للعلامة الإشارية وانتظامها داخل الفضاء، وتفسير تداخل الأيقونية والمؤشيرية والرمزية في إنتاج المعنى، بوصف الخطاب الإشاري بوصفه فعلا إدراكيا جسديا وثقافيا في ذات الآن، وليس مجرد تجميعة لإشارات منفردة.

مراجع ببليوغرافية

- سعيد بنكراد . (2019). *تجليات الصورة سيميائيات الأنساق البصرية*. الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب.
- سعيد بنكراد. (2019). *السميائيات*. الرباط: دار الأمان.
- سعيد بنكراد. (2026). *بين اللفظ والصورة: تعددية الحقائق وفرجة الممكن*. الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب.
- مبارك حنون. (2013). *في الصوت البصرية: من لسانيات المنطوق الى لسانيات المكتوب*. بيروت-لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مريم المقبل، و عربية اليفرنى. (2019). *اللسانيات البيولوجية*. منوبة: الدار التونسية للكتاب/كلية الآداب والفنون والإنسانيات.





نور الدين رايس. (2019). اللسانيات النفسية وإجراءات التواصل. سلسلة دراسات لسانية. إريد-الأردن: عالم الكتب الحديث.

Brigitte Garcia و Marie-Anne Sallandre. (6 November, 2020). Contribution of the Semiological Approach to Deixis-Anaphora in Sign Language: The Key Role of Eye-gaze. *Frontiers in Psychology* 11 , doi:doi: 10.3389/fpsyg.2020.583763

Christian Cuxac. (février, 2003). la langue des signes status linguistiques et institutionnels. *langue française*.

Clayton Valli و Ceil Lucas. (2000). *Linguistics of American sign language: An introduction*. Washington,D.C: Gallaudet University Press.

Edward Klima و Ursula Bellugi. (1979). *The Signs of Language*. Massachusetts: Harvard University Press.

Ferdinand De Saussure. (1916). *cours de linguistique générale*. Paris: Payot.

John Haiman. (2020). Showing and not telling in a Sign Language. (Helen Bromhead و Zhengdao Ye المحررون) *Meaning, Life and Culture: In conversation with Anna Wierzbicka* ، الصفحات 301-291. doi:doi.org/10.22459/MLC.2020.15

karen Emmorey. (2002). *Language, cognition and the brainM perspectives from sign language research*. Mahawah NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Laura Ann Petitto ،Robert J. Zatorre ،Kristine Gauna ،E. J. Nikelski ،Deanna Dostie و Alan C. Evans. (5 december, 2000). Speech-like cerebral activity in profoundly deaf people processing signed languages: Implications for the neural basis of human language. *Proceedings of the National Academy of Sciences* 97 (25). doi:https://doi.org/10.1073/pnas.97.25.13961

Olga Capirci ،Giulia Bonsignori و Alessio Di Renzo. (2022). Signed language: A triangular semiotic dimension. *Frontiers in psychology* 12 ، doi:10.3389/fpsyg.2021.802911

Robbin Battison. (1978). *Lexical Borrowing in American Sign Language*. Burtonsville, Maryland: Linstok Press.

Thomas A. Sebeok. (1996). *Signs. An introduction to semiotics*. toronto: University of Toronto.

Umberto Eco. (1974). *La estructura ausente*. (Francisco Serra Cantarell المترجمون) Barcelona: Lumen.

Umberto Eco. (1976). *A theory of semiotics*. Bloomington: Indiana university press.





- Wendy Sandler. (1989). *Phonological Representation Of The Sign: Linearity and Nonlinearity in American Sign Language*. New York: De Gruyter Mouton.
- Wendy Sandler و Diane Lillo-Martin. (2006). *Sign Language and Linguistic Universals*. Cambridge: Cambridge University Press.

